

الإمام الفيضي وقصيدته الموصلية

د. رأفت لؤي حسين آل فرج
كلية العلوم الإسلامية

هو الشيخ عبد الله أفندي الفيضي بن الشيخ مصطفى أفندي القادري الخضروي بن الشيخ جرجيس الشعار بن الشيخ عبد القادر بن الشيخ عثمان بن الحاج محمود الطائي الموصللي الحنفي. ذكره الشيخ يونس السامرائي عند كلامه على أسرة الفيضي ضمن الحديث عن قبيلة طييء، فقال: "وهم أسرة علمية قديمة عريقة بالفضل، وكان جدّهم الأعلى (أبو الوفاء بهاء الدين) عبد الله الفيضي الملقب بذي الجناحين، وكبيرهم حالياً الشيخ محمد أمين أفندي ابن العالم الجليل الشيخ محمد شريف أفندي، وأولاده وذووه وأحفادهم".

ولد الشيخ عبد الله الفيضي في الموصل عام (١٢٣٧هـ - ١٨٢١م) ونشأ في ربوعها نشأة دينية طيبة في بيت علم وأدب وكرم، وجاء تاريخ ولادته مستفاداً على حساب الجُمَّل من مضمون البيتين الآتيين وهما من نظمه - رحمه الله - ، فقال: "فصل في ولادتنا:

فيا مصطفى قد فزت في غاية المنى بيدر به الحدباء قد أشرقت نورا
وقد زال عنك الكرب فاكتب بميلاد عبد الله أصبحت مسرورا"
١٢٣٧=٥٠٧+٥٠١+١٤٢+٨٧

وللشيخ عبد الله الفيضي ألقاب وكنى عديدة أشهرها: الفيضي، الخضروي، الكؤوسة، ذو الجناحين، رئيس العلماء، بهاء الدين، إكليل القراء، أبو الوفاء، أبو الخير. توفي - رحمه الله تعالى - بالموصل في (رمضان سنة ١٣٠٩هـ الموافق آذار/ نيسان سنة ١٨٩٢م) عن عمر ناهز (٧٢) سنة قمرية، قضاه في الدرس والتدريس والوعظ والإرشاد والتأليف والإفادة وخدمة العلم والدين، ودفن في مقبرة آل الفيضي المجاورة لتكيته، في محلة باب النبي، وعلى شاهد قبره بيتان من نظمه، وهما:

دخلتُ القبرَ منفرداً ذليلاً وفوقي كالجبال من التراب
وأرجو روضة سيصير قبوري وأنجو في المعاد من العذاب

وعليه أيضاً بيتان آخران لغيره، وهما:

يا تربة عطرت به أرجاؤها فالله جبالك بنعم الروض
طب وطيب قبره قد أرخوا وفيه عبد الله أفندي الفيض

٩١ + ١٤٢ + ١٤٥ + ٩٣١ = ١٣٠٩ هـ

وللفيضي عدة شيوخ ذكر أكثرهم في إجازته العلمية لتلميذيه: نجله الشيخ أحمد فخري،

والشيخ داود الصائغ، وهم:

الشيخ محمود بن عبد الجليل الحضري (ت ١٢٥٢ هـ - ١٨٣٦ م).

الشيخ نور الدين البريفكاني (ت ١٢٦٨ هـ - ١٨٥١ م).

الشيخ المفسر أبو الثناء محمود الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٤ م).

الشيخ عبد الرحمن أفندي الروزبهاني (ت ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٨ م).

الشيخ عبد الغني أفندي بن جميل (ت ١٢٧٩ هـ - ١٨٦٢ م).

الشيخ إسماعيل أفندي البرزنجي (ت ١٢٧٩ هـ - ١٨٦٢ م).

الشيخ محمد أمين بن ملا عبدة (ت ١٢٨٠ هـ - ١٨٦٣ م).

الشيخ أحمد أفندي الشهير بابن الخياط (ت ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م).

الشيخ أبو بكر أفندي الشهير بابن الدباغ (ت ١٢٩٦ هـ - ١٨٧٨ م).

الشيخ عبد الله باشعالم العمري (ت ١٢٩٧ هـ - ١٨٧٩ م).

الشيخ فارس أفندي بن سلطان الخطيب.

أما تلاميذ الفيضي فلم تذكر لنا المصادر منهم سوى (١٦) تلميذاً، وهم:

نجله الأكبر الشيخ محمد ذكري الفيضي (ت ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م).

نجله الآخر الشيخ أحمد فخري الفيضي (ت ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م).

الشيخ محمد النوري القادري (ت ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٧ م).

الشيخ محمد أغا الديوه جي (ت ١٣١٤ هـ - ١٨٩٦ م).

الشيخ محمد بن حسن الدباغ (ت ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م).

الشيخ داود أفندي الصائغ (ت ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م).

الشيخ سليمان بك آل مراد الجليلي (ت ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م).

الشيخ محمد ضياء الدين الشعار (ت ١٣٣٤ هـ - ١٩١٥ م).

د. رأفت لؤي حسين آل فرج

- الشيخ الملا عثمان المولوي الموصللي (ت ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م).
الشيخ مصطفى بن محمد سعيد البكري (ت ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م).
الشيخ محمد بن حمدان السويدي (ت ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م).
الشيخ عثمان بن محمد الديوه جي (ت ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م).
الشيخ أحمد بن محمد الديوه جي (ت ١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م).
الشيخ السيد إبراهيم الراوي الرفاعي (ت ١٣٦٥هـ - ١٩٤٥م).
الشيخ مصطفى بن حسين الحاج علي.
الشيخ أمين بن البقال الكاتب.

أما مؤلفاته فهي كثيرة منشورة ومنظومة أغلبها لم يزل في عداد المخطوطات والمفقودات ، ومنذ عقد من الزمن نسعى للعثور على المفقود ، وتحقيق المخطوط ، وقد فصلنا الحديث عنها وعن أماكن وجودها في كتابنا عن حياته رحمه الله ، ونقتصر هنا على ذكر عناوينها فقط ، وهي مرتبة على حسب العلوم :

أولاً: مؤلفاته في العقيدة.

العقود المضية في العقيدة المرضية.
شعب الإيمان.

وصية المرید في طريقة التوحيد.

الفرائد في شرح العقائد.

سيف العون في رقبة فرعون.

ثانياً: مؤلفاته في الفقه وأصوله.

روضة الناظر ونزهة الخاطر.

الفتاوى الفيضية.

منظومة المنار.

ثالثاً: مؤلفاته في التصوف.

منظومة وسيلة المشتاق إلى مكارم الأخلاق طبعت سنة ٢٠١٦م..

تحفة الأبرار في طريقة الأخيار.

شفاء القلوب من أمراض الذنوب.

رابعاً: مؤلفاته في التاريخ وتراجم الكتب والعلوم.

نور القمر في سيرة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه. طبع سنة ١٩٣٦م.

فائدة الإخوان وعائدة الأعيان طبع بتحقيقنا سنة ٢٠٠٨ م.

رأس المال لنيل الآمال.

خامساً: مؤلفاته في النحو والبلاغة.

مُعِينَةُ الطلاب على اكتساب صنعة الإعراب طبع بتحقيقنا سنة ٢٠٠٨ م.

رسالة في إيضاح إعراب الكلمة المطهرة "لا إله إلا الله".

حواش وتعليقات متفرقة على "البهجة المرضية في شرح الألفية" للإمام السيوطي (ت ٩١١ هـ) مشتركة

مع عدد من علماء عصره .

منظومة العلاقات (علاقات المجاز المرسل) طبعت بتحقيقنا سنة ٢٠٠٨ م مع شرحها المرقاة الآتي.

المرقاة في شرح العلاقات.

سادساً: مؤلفاته في الشعر والأدب.

ديوان الفيضي.

الشذرة الذهبية في الشواهد الأدبية، وهو نفسه "المجموع الشعري".

المقامة البغدادية.

سابعاً: مؤلفاته في الإجابة على المسائل وحلّ الألغاز.

الأجوبة الوفية عن الأسئلة النجفية.

شرح المलगوز وبيان الرموز، وهو نفسه "فتح المقفل".

كشف الرمز عن اللغز.

اللطائف الأنسية على المسائل الأويسية.

وسم المسمى وحلّ المعمى.

أما تقاريف الفيضي على الكتب فكثيرة ومتنوعة، جمعناها في كتابنا عن حياته، ونكتفي هنا

بالإشارة إليها، وهي:

تقريض كتاب (نشوة المدام في العودة إلى دار السلام) لشيخه العلامة أبي الشاء محمود الألوسي

(ت ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٣ م).

تقريض كتاب (نثر اللآلي على نظم الأمالي) في العقائد للعلامة عبد الحميد الألوسي (ت ١٣٢٤ هـ -

١٩٠٦ م).

تقريضان لكتاب (كنز الرغائب في منتخبات الجوائب) للأديب اللغوي أحمد فارس بن يوسف

الشدياق (ت ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦ م).

تقريضة منظومة "نظم الغرر في الفرائض" لأمين الفتوى العلامة محمود أفندي الفخري (ت ١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م).

تقريضة كتاب (التمرنة في الأصول النحوية) ليوسف الخوري (ت ١٣٠٨هـ - ١٨٩٠م).
تقريضة كتاب "الفريدة السنية في كشف عقائد اليزيدية" للعلامة أحمد بن محمد أفندي خياط زاده (ت ١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م).

تقريضة على تخميس البردة الشريفة للعلامة عبد الله باشعالم العمري (ت ١٢٩٧هـ - ١٨٧٩م).
تقريضة كتابين لتلميذه السيد محمد النوري بن جرجيس القادري (ت ١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م)، وهما:

كتاب (بستان الإخوان ومورد الظمان) وكتاب (تلخيص التبيان من روح البيان).
أما الشناء عليه من قبل علماء عصره وأكابر مصره فقد اخترت بعضاً من ذلك، وهو:
"بديع البيان والمعاني، الفاضل المرضي الموصلي (عبد الله) أفندي الفيضي، المدرس بمدرسة الصاغة، والمحلّي جيد الفضل بما صاغه". **من كتاب نشوة المدام للشيخ أبو الشناء محمود الألويسي (ت ١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م).**

"الفاضل الأديب، والألمعي الأريب، الجامع من المحاسن ما افترق في غيره، البعيد عن الشرّ الجالب لخيره، لله درك يا وحيد زمانه". مفتي الموصل الشيخ عبد الرحمن الكلاك (ت ١٢٧٩هـ - ١٨٦٢م)
"الألمعي الفاضل، واللودعي الكامل، من فاخر علمه الزوراء والحدباء، وباهى بقريضة أهل الفضل من الأدباء، عبد الله أفندي الفيضي". **العلامة واعظ جامع النبي جرجيس الشيخ أحمد أفندي بابن الخياط (ت ١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م)**

أذعنّت له العلماء الأعلام، وانقادت إليه أرباب الأفهام مع صغر سنه، وكمال البضاعة، وقلة عمره، وإحكام الصناعة، الحبر الأواب، والبحر العباب الشيخ أبو الوفاء عبد الله أفندي الفيضي أفاض الله عليه شأبيب حكمته وأسبغ عليه ألطاف جوده ومنتته". **العلامة واعظ جامع النبي جرجيس الشيخ عبد الغفور بن محمد (ت بحدود ١٢٨٨هـ - ١٨٧١م)**

"أما بعد فقد جال فكري في ميدان هذا المؤلف، فرأى أنابيب مؤلفه قصب السبق تتخطف، فأقرّ على نفسه بالعجز عن أن يبلغ بلاغه، وشهد له بأنه اليوم كامل العلم وفارس البلاغة، وكيف لا وقد افتض أبكار هذه المسائل، ولم يكن يطمئن أحد قبله من الأمثال، فلا غرو أن تكون هذه الأجوبة الوفية لأبي الوفاء من قبيل الفيوضات الربانية، فإنها مما تعقد عليها الخناصر، ويقول الناظر فيها كم ترك الأول للآخر، والحمد لله وحده. أمين". **العلامة الخطيب المدرس الشيخ أبو بكر ابن الدباغ (ت ١٢٩٦هـ - ١٨٧٨م)**

"تميّز على أقرانه، وفاق أهل زمانه، غاص في قاموس العلوم، فاستخرج صحاح جواهرها ولوالياها، وسما إلى سماء الفضل فالتقط دراريها، البحر الطامي والسحاب الهامي، من هو عندي أعزّ من ولدي، الشيخ عبد الله أفندي الملقب بفيضي، عمّه الله تعالى بفيض شآبيب كرمه ورضوانه، وأسبغ عليه جلايب عفوه وغفرانه".

حاز الفضائل في علم وفي أدب	فما ابن هاني يضاويه ولا ابن حجر
علومه بين كل الناس لو قسمت	ما ظل للجهل بين العالمين اثر
قد أخرست كل منطق فصاحته	فنطقه للسان الناطقين أسر
كأنما اللؤلؤ المنظوم في فمه	إذا تكلم بين الحاضرين نشر
ما دار ما بين أهل العلم مسألة	إلا وكان له علم بها وخبر
وما رأيت خطيباً مثله أبداً	بلفظه لعقول السامعين سحر
تحال أن سمعت أذنك خطبته	كل الفصاحة مولاه عليه قصر
أقام للوعظ والتدريس منزلة	ما نالها للورى مما سواه بشر
ونال في الموصل الحدباء مرتبة	فيها طوى الجهل لما للعلوم نشر
لازال يرقى بروج المجد ما طلعت	شمس وما لاح في أوج السماء قمر
شيخ الشيوخ رئيس العلماء عبد الله باشعالم العمري (ت ١٢٩٧هـ - ١٨٧٩م).	

"فريد عصره ووحيد دهره، نخبة الفضلاء الفخام، وقدوة العلماء العظام، الإمام المحقق والهمام المدقق، من تضيق عن بث بعض محاسنه الأوراق، لما فيه من محاسن الشيم ومكارم الأخلاق، ذو الفهم الرائق، والذوق الفائق، ولا بدع أن أنشد فيه ما قيل:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

إذ هو العلم المفرد، بل الجوهر الذي بالفضل تفرد، سارت بذكره الركبان، وبادر إليه كل قاص ودان، ليقتبس من مقباسه، ويستصبح بنور نبراسه فله دره من مؤلف أفاد وأجاد، وبلغ المراد، فهو الذي أحيا سنة النبي، وعلوم علي، نفعنا الله بصالح دعواته، وأعاد علينا والمسلمين من بركاته، أمين". العلامة المرشد مدرس الجامع الكبير الشيخ محمد النوري القادري (ت ١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م)

"يا سبحان الله من يرزق من يشاء بغير حساب... كيف لا وهو العالم المحقق والفاضل المدقق المولى المرضي حضرة أبي محمد عبد الله أفندي الفيضي". رئيس العلماء الشيخ يوسف بن محمود الرمضاني (ت ١٣٣٤هـ - ١٩١٦م)

"نسيج وحده، وجوهر فرده، قناص شوارد العلم والأدب، اللاحق السابق في كلّ مطلب، ذو الجناحين، والناشر أجنحته في الخافقين، ذو الخلق الروض، والخلق المرضي، الشيخ المرحوم الحاج عبد الله أفندي الفيضي". **مفتي الشافعية في الموصل الشيخ إبراهيم آل ياسين القصاب** (ت ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م)

• "نزلتُ في الموصل... وكان يتلطف بي... الشيخ عبد الله أفندي المشهور بالفيضي القادري أجلّ علماء الموصل في وقته". **من كبار علماء بغداد والأنبار الشيخ إبراهيم بن محمد الرفاعي الراوي** (ت ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م)

أما قصيدته الموصلية فهي إحدى قصائده الكثيرة ودواوينه العديدة، تغنى فيها بمدينة الموصل وبث أشجانه وأشواقه في أبياتها، وجدتُ نسخة مخطوطة منها في خزانة حفيد حفيده شيخنا الشهيد الدكتور فيضي الفيضي رحمه الله تعالى، وأشار في حاشية إحدى صفحاتها إلى أنها مأخوذة من ديوان جده عبد الله الفيضي رحمهما الله تعالى، وقد رأيتها خالية من عنوان فرسمت لها عنواناً اجتزأته من صدر البيت السابع للقصيدة، وهي:

موصل الروح

هيجتني ضُعونكم بسرّاهَا	وأطارت عن مُقلتي كَراهَا
ذكَرتني معاهداً ورُسوماً	ألفَ القلبُ ريمَهَا وفِراهَا
جذلاً برهة سحبتُ ذيولي	بين باناتها وبين غضَاهَا
وشممتُ العرار والرّند فيها	فرعى الله سَهلهَا ورُبَاهَا
وسقاها الحيا سحاباً مطيراً	وحباها حضيضَها وذراهَا
دارُ عِزّي ومولدي وفطامي	ولعيني طول المدى مشتهاها
موصلُ الروح راحةُ الجسم فيها	فاح بين البلاد عُرفُ شَذاها
هي حصنُ بالأنبياء حصينٌ	تباهى بهم على مَنْ سِواها
عظمتُ رفعةً فرّقَ هواها	وحلّى ماؤها وطاب ثَراها
روضه ترتع الجؤاذر فيها	تضحك الأرض من بكاء سماها
حلّ فيها من الطّبّاء مهّاة	تغبطُ الشمسُ حُسْنَهَا وسناها
ذاتُ جيدٍ بها الجمالُ تحلّى	وجبينُ به الجمالُ تناها
وقوأمٌ كغُصنِ بَانٍ تثنى	سَلَبَ النفسَ رُشدَها ونُهاها
وعلى الصُدغِ عَقْرَبٌ قد تلوتُ	فحمت عن لثامها الأفواها

وترى القرط فوقه باضطراب
نصبت لي أحبولة غزلتها
أوقعتني بها وليس عجيباً
أسرّنتني بحسنها وسببتني
ملكّت مهجتي فصرت رقيقاً
قذفتني ولي إليها إلتفات
ورمّنتني من الزمان صروف
هدفاً للسقام صار فؤادي
شبّ فيه من البعاد حريق
فسلاها تعطفاً لقتيل
ما ثناه عن ودّها قطّ ثان
رمّته عند الوداع بعين
بات يرعى الدجى بجسم نحيل
كلما جنّ ليّله حنّ شوقاً
وإذا هبّت الصّبا صبّ دمعاً
لم يزل سارياً بخفضٍ ورفع
كلّ شيء من الأمور يراه
شيتّ شمّله فصار غريباً
نسجت فوقه عناكب هجر

تمت